تحوّل الرؤيا الاستعارية من البلاغة إلى السيميائيّات في كتاب "السيميائيّة العرفانيّة الاستعاريّ والثقافيّ لمحمد الصالح البوعمراني"

The transformation of metaphorical vision from rhetoric to semiotics in the book "cognitive semiotics (metaphorical and cultural) of Muhammad al-saleh al-bouamrani"

ط .د/ زيان جعرون
د. أحمد حيدوش

**قسم اللغة والأدب العربي– جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة (الجزائر)
مخبر دراسة نظرية وتطبيقية معمقة لتطبيق النظام التعليمي الجديد LMD في الجامعة الجزائرية بهدف تكوين أقطاب جامعية تنموية مندمجة ، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة 10000.**
z.djaaroun@univ-bouira.dz

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2022/02/16 تاريخ النشر: 2022/03/15

ملخص:

توسّع المجال أمام الدرس الاستعاري ليحدث تعالق بين مجالات مختلفة كالمنهج السّيميائي واللّسانيات العرفانية والفلسفة وكثير من العلوم، هذا التّعالق أدّى الى انزياحها عن القراءات التّراثية التي حصرتها في مجرد اللّغة والتي تبنتها النّظرية الاستبدالية منذ أرسطو إلى القرون الوسطى، والتي اقترنت بمحدوديّة القراءة والفهم للبنى الاستعارية ولكن مع عمليّة الانفتاح الواعي على الدّراسات العرفانيّة وخاصّة دراسات "لاكوف وجونسون" حول الاستعارة استطاع الكثير من المهتمين بهذا الحقل استقراء كنه هذا البحث الجديد، وتعدّ محاولة محمد الصّالح البوعمراني في فهم وتطبيق ما وصلت إليه السّيميائيّة العرفانيّة أمرا رياديّا، فماهي أهمّ الجوانب التي أضاءتها السيميائيّة العرفانيّة؟ وإذا كان البوعمراني أحد السّيميائيين العرفانيين فما هي الآليات التي اعتمدها في مقاربة المدوّنات الشعريّة والنثريّة في دراسته للاستعارة؟

الكلمات المفتاحية: استعارة؛ عرفانية؛ سيمياء؛ بلاغة جديدة؛ نسق ثقافي.

Abstract:

The field expended to metaphor to create relationships between different fields such as the semiotic approach, cognitive linguistics, philosophy and many sciences. This relationship led to diverting it from the traditional readings that limited it to mere language. It was adopted by the constitutive theory from Aristotle to the middle ages. It was associated with limited reading and understanding of metaphorical structures. With the conscious openness on cognitive studies especially studies of "lakoff and Johnson" about the metaphor, many people who were interested in this field were able to extrapolate the core of this new research. The attempt of Muhammad Al-Saleh Al-Bouamrani to understand and apply the cognitive semiotics is considered a will. So, what are the most important aspects illuminated by cognitive semiotics? and if al-Bouamrani is one of the semioticians cognitivists, what are the mechanisms on which he relied on in poetic and prose blogging approach in his study of metaphor.

key words: metaphor; cognition; semiotics; the new rhetoric; cultural layout .

مقدّمة

تعتبر الاستعارة سر البلاغة وصناعة العربية وبفضل ما أنتجته من جمالية للنّصوص وقواعد لتصحيح المنجز الإبداعي للأدباء والشّعراء وهو الهدف الأسمى للبلاغة عموما والاستعارة خصوصا فإنّ الإشكالات التي تثار حولها ما تزال مستمرة، فالتّراث البلاغي اقتصر على وجه واحد الذي حصّل لهم - الأدباء والشّعراء - الإجابات التي جادت بها قرائحهم، حيث إنها مكتنزة بالأسرار وهذا ما حدث لمّا خرجت الاستعارة من البلاغة المعياريّة إلى اللّسانيات المعرفيّة فقامت بتوسيع دائرة ما هو استعاري وعلاقته بالذهن والعالم الخارجي وحتّى الثّقافي، فالدّراسات الغربية مع "لايكوف وجونسون وغيرهما أخذت منحى آخر غير الذي اقتصرت عليه النظرية الاستبدالية، فلم يَقصُر النقاد والمفكرون العرب المحدثون عن تجاوز ما هو موروث للاشتغال بالدّرس الاستعاري العربيّ نذكر منهم محمد البازي وأبو العدوس والحنصالي وصولا للبوعمراني الذي اخترنا له كتاب (السيميائيّة العرفانيّة الاستعاري والثقافي).

ولعلّ الإشكاليّة التي يقوم عليها هذا البحث بيان التحوّلات الكبرى التي حدثت على الاستعارة، فماهي أهمّ الجوانب التي أضاءتها السيميائيّة العرفانيّة؟ وهل نجحت التصّورات المحدثة لمعالجة القصور البلاغي؟ وإذا كان البوعمراني أحد السيميائيين العرفانيين فما هي

الآليات التي اعتمدها في مقاربة المدوّنات الشعريّة والنثريّة في دراسته للاستعارة؟ وهل للثقافة دور في تحديد منحى الاستعارة؟

ولاشك أن المناهج الغربيّة الحديثة التي أثارت موضوع الاستعارة من جديد لم تعد تنظر إلى موضوع النّص الأدبي وما يحمله من استعارات موضوعًا خارجيًّا بل أصبح يستمدّ كيانه وخصوصياته من الثّقافات المجاورة، لذا فالسيميائيّة الثقافيّة تنظر إلى اللغة وسيلة لتغيير الواقع والثقافة معاً "فإن المعنى ليس ثابتا ولكنه مسألة بناء ذهني لساني تُسْتَمَدُ آلياته من الآليات النفسيّة نفسها الموجودة ضمن آلية المعرفة الموسوعيّة والادراك"[1]، فتنزلق الاستعارة من التّفسير المعياري الجامد أحادي النظرة إلى لا نهايات التأويل والدّلالة، فـ (بيرس) رادف بين السّيمياء والبلاغة مثله مثل (جماعة مو) "وذلك لتقديم نظرية حقيقية لإنتاج الآثار الأدبيّة بالمعنى الواسع عن طريق اللّغة المجازيّة واتّخذت هدفها التّحليلي صور الأسلوب التي تعتمدها اللّغة الشّعريّة أي أنّها كرّست دراستها للبحث عن الأدبيّة أو علم الأدب ليصل إلى شعريّة أسلوبية بتقاليد بنيويّة وسيميائيّة"[2] وبهذا أصبحت الاستعارة نموذجا علاماتيا يعتمده السّيميائي لتحديد وتأويل النّصوص.

1. ارهاصات ومفاهيم

1.1. مفهوم العرفانية

اللسانيات العرفانية (cognitive linguistique) ويترجمها البعض بالإدراكية،هي تيار عكسي لأفكار تشومسكي السّلوكية والذي فصل بين اللّغة والجوانب الإدراكيّة الأخرى، فالعرفانيّة هي"اتجاه في البحث متداخل التخصّصات تطوّر في نهاية الخمسينيات في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ويعنى بدراسة العمليات الذّهنية لاكتساب واستخدام المعارف واللّغة، وهو على خلاف مع النّزعة السلوكيّة المركّزة على السّلوك القابل للملاحظة والسيرورات (استجابة ومثير)... والدّراسة فيه هي بحث في البنية الذهنية أو المعرفيّة وتنظيمها بتحليل الاستراتيجيات المعرفيّة التي يستخدمها الإنسان في عملية التفكير وتخزين المعلومات وعمليّة الاستيعاب وإنتاج اللغة"[3] فتشكل الدّرس العرفاني بدأ باهتمام عدد من اللسانيين بعلاقة اللّغة بالذّهن وهي تعتقد بأنّ اللّغة ترتبط بجميع عمليات التفكير فمثلا اللّساني الأمريكي لايكوف يرى بأن"علم العرفنية حقل جديد يجمع بين ما يعرف عن الذّهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس واللسانيات الأنثروبولوجيا والحاسوبية وهو ينشد أجوبة مفصّلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النظام

المفهومي نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام؟ وان لم يكن كذلك ما هو بالتحديد ذاك الشيء المشترك بين بني البشر جميعهم في ما به يفكرون ؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكن بعض الأجوبة جديدة"[4]، فاشتغل اللسانيون العرفانيون في مجمل بحوثهم على علاقة بنية اللغة بالأشياء الخارجة عنها، وبذلك أصبحت متفتحة على علوم كثيرة وهي بذلك تحاول الإجابة على مجمل الأسئلة سابقة الذكر، ويؤكّد لزهر الزنّاد (في كتابه النص والخطاب) بأنّ اللّسانيّات العرفانية تعدّ" تيّارًا لسانيًّا حديث النشأة، حيث يقوم على دراسة العلاقة بين اللّغة البشريّة والذّهن بما فيها الاجتماعي والماديّ والبيئي أي العلاقة بين اللّغة والذّهن والتّجربة الاجتماعيّة والماديّة والبيئيّة"[5] فهي علم مستحدث متشعب يضم العديد من الأفكار والتصورات ساهمت في نشاط البحث اللساني وانفتاحه على شبكة غير محدودة من الحقول المعرفيّة.

2.1. العرفانيّة وتحديد ماهية الاستعارة

لقد ارتقى مفهوم الاستعارة في العرفانيّة مبتعدا عن المفاهيم التقليدية فهي "لم تعد ظاهرة لغويّة ناتجة عن استبدال أو عدول عن معنى حرفيّ إلى معنى مجازي بل هي عمليّة ادراكيّة كامنة في الذهن تؤسّس أنظمتنا التّصوريّة وتحكم تجربتنا أي أنّ الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصوّرية لا لسانية"[6]، فارتبطت الاستعارة بشكل وثيق بالعمليات العقلية الإبداعية التي تتعلق بتجربة الانسان.

من الملاحظ أن البوعمرانيّ لم يتوقّف عند تعريف الاستعارة عند العرفانيين كثيرا في كتابه بل اكتفى بالإشارة إليها بالتفصيل في أطروحته "استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران مقاربة عرفانية" حيث أعطى للاستعارة جملة من المفاهيم ثم تطرق إلى أهمّ من بنى معالمها وهما "جورج لايكوف "ومارك جونسون" في كتابهما (الاستعارات التي نحيا بها) ثم قدّما تصوّرهما لها "فاعتبراها آلية عرفانية فهي ليست شيئا مضافا إلى الفكر، بل هي الفكر نفسه الذي يشتغل في جانب منه على الخيال"[7] وأنّ "الاستعارة لا تقوم على مشابهة موجودة بشكل قبلي وفي استقلال عن تجربة الإنسان بل إنها إبداعية تستجيب لتجربتنا وتفاعلنا مع المحيط مما يجعلها تقوم على مبدأ الربط وليس المشابهة فالمقصود بالرّبط هو أن الاستعارة تتكون من مجالين: مجال مصدر ومجال هدف حيث يتم نقل تصورات مجال المصدر إلى مجال الهدف فيحدث الربط بين المجالين مما يولد فكرة جديدة تقرّبنا من فهم تشكل التجارب والوقائع"[8].

وهنا جوهر المخالفة والاختلاف بين الاستعارة في البلاغة القديمة التي أحاطت سياجا تقنيا متمثلا في قرينة المشابهة بين المشبه والمشبه به، وقد أدرك اللغويون القدامى أن اللّفظ يجاوز معناه الحقيقي ليدلّ على معنى آخر مجازي بالشبه والمقاربة، "وإنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الأخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشّخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"[9]، وهاته المعرفة تكمن في المشابهة فتحدث ابن قتيبة عنها بصورة مقتضبة في (الشعر والشعراء) بقوله: "وقد تسمي العرب الشيء باسم غيره إذا كان له مشبها"[10]، فمن تلك الشواهد قوله: "يقولون للمطر سماء لأنه من السماء ينزل فيقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم قال الشاعر (إذا سَقط اَلسماء بِأرضِ قِوم رِعيناه وإنّ كانوا غِضابا) "فاستخدم السماء هنا لدلالة على المطر من المجاز المرسل المقام على علاقة السببية، ومن الشواهد التي تحمل مفهوم الاستعارة تعليقه الواضح على الآية: "وَلكن لا تواعدوهن سِرا" [سورة البقرة: 235]، يقول: السر، النكاح لأن النكاح يكون سرا ولا يظهر فاستعير له السر"[11]. "أما الاتجاه المعرفي للمعرفة يترك المجال للتّجربة الإنسانيّة حتى تتفاعل مع المحيط الخارجي لإنتاج أفكار ومفاهيم ابداعيّة"[12].

3.1. العرفانية والسيميائيات

يرى البوعمراني أنّ البحث العرفاني في جوهره لا ينفك عن السّيميائية لأنّ أهمّ ما يقوم عليه البحث العرفاني "آليات اشتغال الذهن البشري وآليات إنتاجه للرموز وتعامله معها تصنيفا وفهما وتداولاً"[13]، فالسّيميائية العرفانيّة تُعنى بربط المعنى بالثقافة الإنسانيّة المشيِّدة له، ويقول أيضا "أنّ المحتوى السّيميائي القائم بين المتخاطبين مؤسّس على مقصديّة المتكلّم الذي يرغب في تقاسم دلالات ملفوظه مع مخاطبه في إطار حدث سيميائي مشترك وضمنيات تداوليّة وهو ما يشكل معنى الاستعارة"[14]، ومن خلال هذه الرؤية لم تعد الاستعارة لها علاقة بالدلالة أو الشكل أو الطابع الجمالي فقط، بل أصبحت وثيقة الصلة بالعمليات المعرفية والسيميائية وحتى التداوليّة وهذا ما يجعل من السيميائية العرفانيّة متداخلة الاختصاصات، ويؤكد ذلك (ماكس بلاك) في تصوره للاستعارة ويقدم مثالا للاطار ويقول: "انفجر الرئيس خلال المناقشة، فالملاحظ في هذه البنية أنه يوجد كلمة على الأقل تستخدم بشكل مجازي، وتكون في أيّة جملة أخرى تستخدم بشكل حرفي

وهو ما تمثله باقي عناصر الجمل، وبهذا يطلق على كلمة انفجر، بؤرة الاستعارة وعلى باقي كلمات الجملة الاطار المحيط بالاستعارة ويبدأ التفاعل بينهما، مما يجعل من الاستعارة عملية ذهنية بين فكرين نشيطين تنتج عنهما مولدة جديدة"[15]، وهو بذلك ينفي فهم الاستعارة انطلاقا من البنى المعجميّة التركيبيّة الملفوظة الواردة فيه، بل يرى أنّ المعارف البسيكولوجية والمعارف المتعلّقة ب "عالم الحياة" والمعايير الاجتماعيّة هي من تساعد على فهم الاستعارة.

4.1. الاستعاري والثقافي

يورد جميل صليبا في معجمه "المعجم الفلسفي" تعريفا يتطرق إلى معنى الثقافة: "وهي مجموع العادات والأوضاع الاجتماعية والطّرق العلميّة والتقنيّة وأنماط التّفكير والإحساس والقيم الذائعة في مجتمع معيّن، ثم يحاول الرّبط بين الاستعارة والثقافة، فهو يرى أن الثّقافة هي المرجع الذي تبنى في سياقه الاستعارة وتستمدّ جماليته وقبوليته منها والثّاني هي حضورها في التداول اليوميّ، يرتكز على مقولات علماء العربية في تراثنا القديم واهتمامهم بالعرف الدّارج للانسجام الحاصل بين الممارسة اللغوية وثّقافة المجتمع، فالفهم كما يقول أبو هلال العسكري يأنس الكلام ويسكن المألوف" فالخروج عن المألوف مؤكّدا للغموض في اللّغة والاستعارة أيضا.

ينقل قول الجرجاني مبينا دور الثقافة في خلق الاستعارة وفهمها[16]، فالجرجاني يقدم رؤية تواضعية للاستعارة، فهي تتطلب مشتركا معرفيّا متواضعاً وقد تقدّم الاستعارة تصوّرا جديدا للوجود فالبوعمراني يرى أنّ هاته التصورات المغايرة للآخرين ونظرتهم تؤسّس لثقافة جديدة فما الثقافة في سيرورتها وتحولاتها إلا تصوّرات في جانب كبير منها استعاري.

يحاول من خلال ذلك الفهم والتحليل لأنواع الخطاب التي يراها مسكونة بالتصّورات الاستعارية التي تُظهر تفكيرنا، فكل اهتمام ودراسة وتعمّق وحتى استفهام على الاستعارة حتما يتطلب دراسة فضاء الأنظمة الرمزيّة الثقافيّة والفضاء السيميائي وانطلق في ذلك من أنّ: الاستعارة في اللغة حضور استعارة القوة في البنى اللّغوية القائمة على الجعليّة وفق تصوّر (ليونارد طالمي)، وقدم فكرة "المعنى الخطاطي" والذي يقصد به: "الشبكة التصوريّة التي تنظم نشاطاتنا الادراكية ومعارفنا"[17]، والخطاطة هي الخلفية الثقافية التي يختزنها كل فرد "فالخلفيات الثقافية المختلفة يمكن أن تنتج خطاطات مختلفة من أجل وصف الأحداث المشاهدة، وبالتالي تتحكم الموسوعة المعرفية في تحديد الخطاطة المناسبة للتحليل"[18]، ويعمد للربط بين المعنى الخطاطي في النحو والمعنى الاستعاري يقول (ليونارد طالمي): أنّ "العديد من البنى النحوية ترجع إلى نفس الخطاطة الهندسية التي تنظم وجودنا المتجسد، فدينامية القوة التي اعتبرها "نظاما خطاطيا

مخصوصا هي من تقوم بتنظيم تجاربنا وأفكارنا ومعارفنا فبذلك هي من تكشف عن المعنى الخطاطي الحقيقي والاستعاري في النحو"[19]، إنّ البنية الجشطالتيّة لخطاطة القوّة ينقلها العرف من العالم الفيزيائي إلى الحالات النفسيّة والاجتماعية والفكرية، تنظم هذه البنية شبكة المعاني في العالم وفي اللّغة فهي بنية نحويّة تقوم على صراع القوى، يتجلى التّفاعل السّببي في أحلى صوره وتسمّى بالجعليّة يقول البوعمراني: "تتجسد دينامية القوة في شكلها الطرازي في عالمنا الفيزيائي وتمثّل أجسادنا النموذج الأمثل لحضورها في هذا العالم القائم في جانب كبير منه إن لم نقل في كلّ مظاهره على تفاعل القوى"[20]، ويعرف خطاطة القوة بقوله: "هي خطاطة يقوم عليها جانب كبير من نشاطنا الفكري والجسدي باعتبارنا نمتلك أجساد ونتفاعل مع محيطنا المادي وهذا التفاعل يقتضي استعمالا للقوة"[21]، من خلال هاته الأرضية التي قدّمت لبعض المفاهيم التي حملها مشروع البوعمراني في تفعيل المشهد السّيميائي العرفانيّ.

2. الاستعاري والثقافي في السّيميائيّة العرفانيّة

1.2. النص القرآني الكريم والاستعارة

حلّل البوعمراني الاستعارات المكوّنة للنّص القرآني الكريم، وأخذ مثالاً واحدًا لذلك وهو (التّجارة) فبحث في الاستعارات التصوّرية في إطار التّجارة وعلاقتها بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة قدّم تعريفات للإطار ويعرّفه باعتباره "هيكل بيانات بمعرفة معينة عن شيء أو مفهوم محدّد وتستخدم الإطارات التي اقترحها (مرفين مينسكي Marvin Minskey) أوّل مرّة في السّبعينات من القرن العشرين الميلادي في الحصول على المعرفة وتمثيلها في نظام الخبرة المبني على الإطارات"[22].

ف (مشيل ليجنفيتسكي) في كتابه "الذكاء الصناعي دليل النظم الذكية"، يعرّف الإطار بقوله: "فالأطر يقع استحضارها عن طريق الذاكرة وفق معان مخصوصة للكلمات وتفرض عليها نوعا من الإدراك المخصوص للمعنى وتجعل المتكلّم يختار الزّاوية المناسبة التي تتماشى مع السّياق ويضرب مثالا لذلك بعمليتين: *زيد أمضى أربع ساعات على اليابسة

*زيد أمضى أربع ساعات على الأرض

فاليابسة في السّياق الأوّل ليست هي الأرض في سياق الجملة الثانية ؛ ففي الجملة وقع اختيار اليابسة لتحيلنا لسياق معيّن وهو سياق رحلة بحريّة وهي تختلف عن السّياق الثّاني الذي يحيل إلى رحلة جويّة فالذي يكون في البحر ينزل بالأرض[23]، وبهذه القراءة يفتح الاتجاه المعرفي المجال واسعا للتجربة الإنسانية حتى تتفاعل وتتناغم مع محيطها ويعتبر الأطر ظاهرة ثقافية يمكن أن تختلف من مجتمع إلى آخر فنراه يضع للتّجارة جدولا مبيّنا لفضاءاتها:

الإطار	الخاصيات	القيم
التجارة	البائع	- صاحب دكان - متجول
	المشتري	- تاجر - مواطن
	البضاعة	- خدمات - حسية

الجدول من اعداد الباحث

ثم يذهب إلى التجارة اطارا في استعارات الخطاب القرآني التصوريّة ويبحث عن فهم ميدان ما عن طريق ميدان آخر.

يقرأ الآية "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ" [سورة فاطر، الآية: 29]

والآية " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿10﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿11﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [سورة الصف، الآية: 10 – 12]

وهي آيات وردت فيها التجارة على سبيل الاستعارة، ثم يعمد إلى ذكر لوازم التجارة وأهمّها الشراء في عشرين آية ويستنتج أن هنالك مبايعتين في القرآن مبايعة بين المؤمن وربّه وهي الرّابحة ومبايعة الكافر للشّيطان وتنتهي بالخسارة وعدم التوفيق، ويضع لذلك رسما للنظام الخطاطي لاستعارة التّجارة في القرآن الكريم، يقف مطوّلا البوعمراني عند الوزن وأنساقه لأنه يدخل في ميدان المصدر للتّجارة معتمدا في ذلك على ما قدّمه (جونسون)، تصور كلي لخطاطة التوازن في تناوله للتمثال البرونزي وتوازن الألوان وهذا يمثل استعارة خطاطة الميزان وبعض المسائل في القران الكريم.

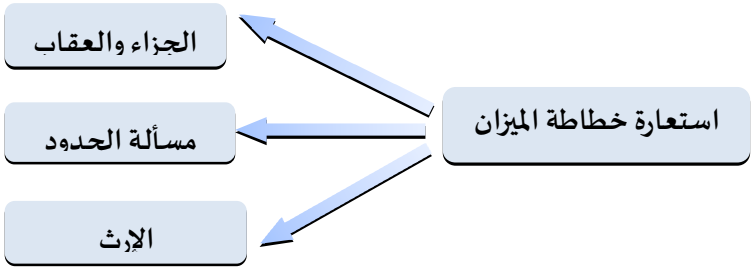

مخطط من اعداد الباحث

ختم الفصل بأنّ الاهتمام بالتجارة في القرآن الكريم كان منطلقه أبعاد حجاجية انسجاما مع واقع العرب وقريش وأهل الكتاب فأصبحت استعارة التجارة قاعدية لتمتد إلى مسائل مختلفة في سياقات مختلفة.

2.2. الاستعارة والجسد

يحاور في المقدمة بداية الاهتمام بالجسد كمدخل الانسان إلى العالم ويؤكد أن الفلسفة العرفانيّة نقلتنا من مفهوم العقل المجرد إلى مفهوم العقل المتجّسد، وينقل قول عبد الله الحرّاصي: "العقل لا ينفصل عن تجربة الجسد بل إنّ التّجربة العقليّة في كثير من جوانبها تقع تحت سيطرة الجسد المجازية، حيث ينقل العقل من خلال استعارة بنى التجارب الماديّة كالحركة والرؤية البصريّة والاحتواء ومنطقها وتفاعلها، ليشكّل منها المفاهيم المجردة كالمفاهيم السياسيّة والفلسفيّة وغيرها"[24] ؛ يعتبر الجسد ميدان مصدر ومحدّد لميادين الأهداف المجردة ويسقط هذا التصوّر على مقولات بعض الحركات الباطنية ليبيّن كيف تمّ اسقاط صور الجسد البشريّ على صورة الجسد الكوني، إن التصوّر الصّوفي كان له جاذبيّة خاصّة للبوعمراني لمّا اتخذ من فكرة الخلق عند "ابن عربي" نموذجًا لقراءة استعارة "الجسد"، ويطرح عبر ذلك ما يسمّيه "التوالج الشّبقي" عند ابن عربي فعلى شاكلة النّكاح الإنسانيّ كان النّكاح بين القلم الأعلى واللّوح المحفوظ الذي يعبّر عنه: "بالعقل الأوّل والنّفس الكل"[25]، ينتقل إلى النّكاح في اللّغة وما كان لابن عربيّ في تأويله للحروف والعلاقة بينهما والمتأمّل في المصطلحات التي وظّفها ابن عربي يرى أنّه أسقط استعارة الجسد على الوجود وهذا مثال على المعتقدات الباطنيّة جمعاء وتصّورها للنّص الدّيني وتأويل رموزه الكامنة بداخله والذي شقّوا به تصوّرا مختلفا عن التّصوّر السّائد.

3.2. السّياسة والاستعارة

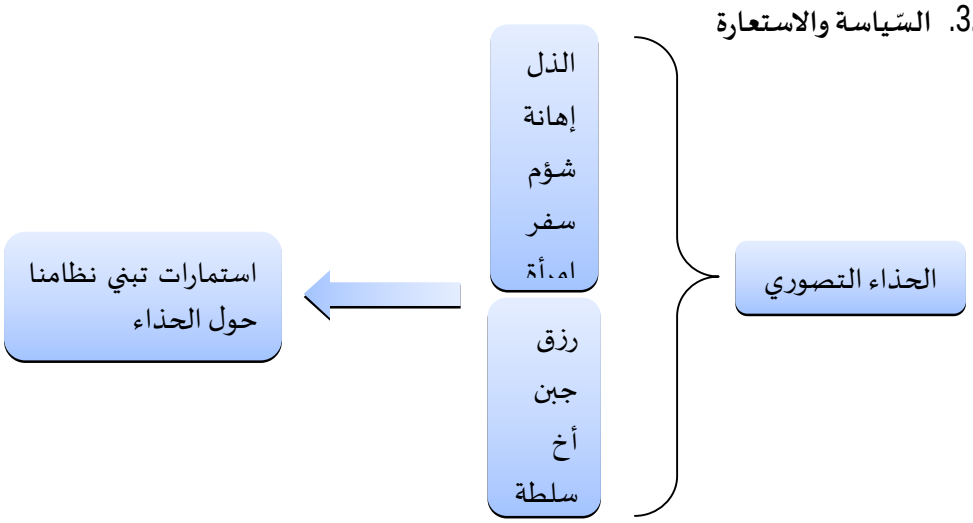

مخطط من اعداد الباحث

عند تحليل الخطاب السياسيّ يتّخذ من استعارة الحذاء ثقافة فرضت نفسها خاصّة لمّا شاهد العالم واقعة رمي الصّحفي العراقيّ "منتظر الزّيدي" الرئيس الأمريكي "بوش الابن" بفردتي الحذاء، وابتدأ ذلك بالاستعارات التصوريّة القاعديّة المرتبطة بالحذاء الذي ارتبط تاريخيًّا بالمدنّس وبالدّونيّة والمنزلة الوضيعة، فالعرب تقول "أذلّ من نعل".

ويرى تحوّل التّصور الاستعاري للحذاء بعد حادثة بوش الابن فأصبحت الاستعارة سلاحاً وبهذا يثبت أنّ الاستعارة تساهم بشكل كبير في تحويل تصوّراتنا الثقافيّة، ثم يطبّق مقولات العرفانيّة التي تُظهر قوّة الاستعارة في الخطاب مهما كان شكله سياسيّ أو أدبيّ.

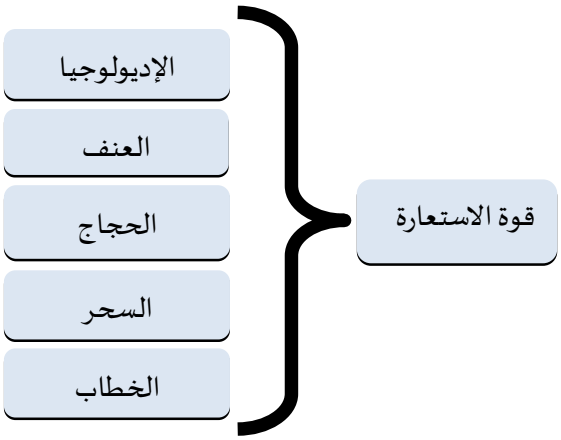

مخطط من اعداد الباحث

وهذا الأخير أخذ مساحة كبيرة من النّقاش لدى البوعمراني فقدّم قراءة للأمريكيين مثلاً واستعاراتهم المخصوصة، يرتحل إلى الخطاب السّياسي التّونسي ليعمد إلى الاستعارات التّصورية القاعديّة فيه وهذا المخطط يبين مخرجات الخطاب السياسي من استعارات:

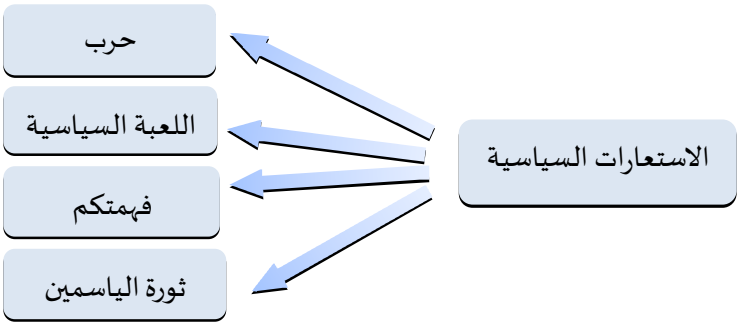

مخطط من اعداد الباحث

يستنتج أنّ الاستعارة كثيفة الحضور في الخطاب السياسي ومن خلالها يمكن الكشف عن التوجهات السياسية والحزبية المعلن والمخفي عنها، وهي تكشف عن تفكيرنا السّياسي ورؤيتنا الأيديولوجيّة فهي آلية خطيرة تقاد بها الشعوب وتصنع بها المغلطة وتبرّر بها الأخطاء وحتّى القتل لأنّها آليّة تفكير.

4.2. الخرافة والاستعارة

اختار البوعمراني للخرافة نصّا نثريّا متجسّدا في رواية "سبع خطايا" "لصلاح الدّين بوجاه – نموذجا-" وقدّم لذلك بالتّفريق بين الأسطورة والخرافة ناقلا قول محمّد عبد المتولّي "في الأساطير وطرائق دراستها" في تقديمه لماهية الخرافة هي: "حكاية بطولية مليئة بالخوارق، إلّا أنّ أبطالها الرئيسيين هم البشر والجنّ ولا دور للآلهة فيها"[26]، فالأساطير تبنى على الأدوار البطولية للآلهة.

جدول يبين العلاقة بين الخرافة والاستعارة

	المجال	
الخرافة	مصدر	هدف
	عالم عجيب	انساني مماثل للصراع

الجدول من اعداد الباحث

وقد استعار البوعمراني مايلي:

- النّظام الخطاطي للخرافة "خلفيّة الرّواية الخرافيّة".
- العنوان والتّصدير.
- الشّخصيات الخرافيّة (السّبع صبايا، فاطمة، مريومة، لبدة، فتنة، درّة، كوثر، الفولة، الشّيخ راجح، الكلب).
- الأسلوب: الخرافيّ والأدب الشفويّ.

إلاّ أنّ المفارقة في النّظام الخطاطيّ الذي بنيت عليه الخرافة والنّظام الخطاطيّ الذي بنيت عليه الرّواية أنّه يحدث انكسار لأفق توقّع القارئ للخرافة، ينتهي بانتصار الخير والرّواية بذلك تخرج عن النّظام الخطاطيّ الأوّل لتهيكل لنفسها نظامًا خطاطيّا متشائمًا يكرّس لواقع اجتماعيّ ينتصر فيه البشر ولو ظاهريًّا.

أمّا "الأسطورة" فقد اختار لها الشّعر المعاصر ويؤكّد على أنّ الجامع بين الأسطورة واللّغة هو الاستعارة، ويرى أنّ الكلمة هي التي تنتج الاستعارة الأسطوريّة، يقدّم أسماء اسطوريّة ويربطها بمراحل زمنيّة استعار شعراؤها تلكم الأساطير من أجل اكمال نقص ما ففي أواخر الخمسينيّات

وبداية الستّينيات استدعى الشّعراء المعاصرون أسطورة "أوديس" لأنّ أغلبهم مرتحلون، محمود درويش عاش تجربة اللّجوء مثل حلم "أوديس" بالعودة إلى "أوثيك" أمّا السيّاب والبياتي فتعرّضا للتّشريد خارج العراق، مثلهما مثل أدونيس وبالعموم كانت:

المجال المصدر	المجال الهدف
الأساطير	صورة الانسان العربيّ في هذا الوجود

الجدول من اعداد الباحث

خاتمة

سعينا في هذا البحث أن نكشف عن أهمّ التّحوّلات التي مسّت الاستعارة فوجدنا هذا الكتاب من أهمّ المؤلّفات التي رصدت تلكم التّحولات في البناء وحتّى في القراءة، فقد أراد البوعمراني إنارة جانب من السّيميائيّة العرفانيّة وما تعكسه الاستعارة من تصوّراتنا وتمثّلاتنا للوجود فهي في ثنايا تفكيرنا تطفو على سطح خطاباتنا فلم تعد بذلك آلية للجمالي والفني بل أصبحت: "آلية للتفكير"، وقام هذا البحث على فهم ما تناوله البوعمراني من تطبيق البنى الخطاطية وعلاقتها بالاستعارة وتوليد المعاني انطلاقا من مخرجات السيميائية العرفانية من مفاهيم وإجراءات ثم تحديد علاقة وطيدة بين التشكل الاستعاري وثقافة المرسل والمرسل اليه.

ومن النتائج التي في مضمونها حوصلة للبحث:

1. شكلت اللسانيات العرفانية محطة علمية ذات أهمية بالغة منذ ظهورها في خمسينيات القرن الماضي مع جونسون ولايكوف.

2. اعتبار التركيب الاستعاري أيقونة سيميائية تتجاوز البنية اللغوية فقد أظهر طواعية التموقع في المناهج المعاصرة و التكيف مع التفسيرات الحديثة الباحثة عن المعنى.

3. انطلق البوعمراني من أن أنواع الخطابات مسكونة بالتصورات الاستعارية التي تظهر تفكيرنا ليؤكد الاهتمام على فضاء الأنظمة الرمزية الثقافية و الدرس السيميائي.

4. الثقافة حلقة وصل بين البلاغة والسيمياء واللسانيات فشكلت دعامة أساسية للبحث.

5. تجلّي المظاهر الأنثروبولوجيا في الاستعارة كالخرافة والأسطورة وتمثيلها للطقوس الحياتية للإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، د ت.
2. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973.
3. الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفانية، دار محمد علي للنشر،تونس2011، ط1.
4. جميلة كرتوس، الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية "لماذا تركت الحصان وحيدا "، لمحمود درويش أنموذجا"، أطروحة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011.
5. جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط2 ، 2009.
6. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تحقيق: الشيخ كامل محمد عويضة، ط 1، بيروت، 1983.
7. عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، المكتبة الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2013.
8. عفاف موقو، ملامح من الأبنية الذهنية للفضاء في النّحو العربي، من كتاب دراسات في اللّسانيات العرفانيّة الذهن واللغة والواقع، تحرير: صابر الحباشة، مركز الملك عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربية، دط، 2020.
9. عيد الحنصالي، الاستعارات في الشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
10. محمد الصالح البوعمراني، البنية، المعنى، الأيديولوجيا، البنى الصغرى والكبرى في أدب جبران خليل جبران "مقاربة عرفانية"، مجلة الخطاب، العدد 20، تونس.
11. محمد الصالح البوعمراني، السيميائية العرفانية الاستعاري والثقافي، مركز النشر الجامعي، د ط، 2015.
12. محمد مشبال واخرون، البلاغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.
13. Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of language and linguistic, Translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi, Edition published in the Taylor & Francis e-Library, London and , New York, 2006.

الهوامش

[1] عفاف موقو، ملامح من الأبنية الذهنية للفضاء في النّحو العربي، من كتاب دراسات في اللّسانيات العرفانيّة الذهن واللغة والواقع، تحرير: صابر الحباشة، مركز الملك عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربية، دط، 2020، ص59.

[2] محمد مشبال واخرون، البلاغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص105.

[3] Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of language and linguistic, Translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi, Edition published in the Taylor & Francis e-Library, London and New York, 2006, p:197.

[4] عطية سليمان احمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية "النموذج الشبكي، البنية"، المكتبة الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2013، ص53.

[5] الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفانية، دار محمد علي للنشر، تونس، 2011، ط1، ص22.

[6] عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص59.

[7] محمد الصالح البوعمراني، السيميائية العرفانية الاستعاري والثقافي، مركز النشر الجامعي، د ط، 2015، ص3.

[8] جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط2 ، 2009، ص13.

[9] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تحقيق: الشيخ كامل محمد عويضة، ط 1، بيروت، 1983، ص348.

[10] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، د ت، ص55.

[11] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص141.

[12] محمد الصالح البوعمراني، المرجع السابق نفسه، ص7.

[13] المرجع نفسه، ص9.

[14] المرجع نفسه، ص12.

[15] جميلة كرتوس، الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية "لماذا تركت الحصان وحيدا "، لمحمود درويش أنموذجا"، أطروحة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2011، ص24-25.

[16] محمد الصالح البوعمراني، المرجع السابق نفسه، ص19.

[17] المرجع نفسه، ص29.

[18] عيد الحنصالي، الاستعارات في الشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص136.

[19] محمد الصالح البوعمراني، المرجع السابق نفسه، ص30.

[20] محمد الصالح البوعمراني، المرجع السابق نفسه، ص47-48.

[21] محمد الصالح البوعمراني، البنية، المعنى، الأيديولوجيا، البنى الصغرى والكبرى في أدب جبران خليل جبران "مقاربة عرفانية"، مجلة الخطاب، العدد 20، تونس، ص45.

[22] محمد الصالح البوعمراني، المرجع السابق نفسه، ص53.

[23] المرجع نفسه، ص56.

[24] محمد الصالح البوعمراني، المرجع السابق نفسه، ص99.

[25] المرجع نفسه، ص115.

[26] محمد الصالح البوعمراني، المرجع السابق نفسه، ص253.